قراءة الخطاب الديني "نقد الفكر الديني للجابري أنموذجا".

أ.مرزاقة زياني
جامعة الجزائر2

ملخص :

– إن القراءة التأويلية التي يمارسها محمد عابد الجابري تنبني على الانتقاد لا على الاعتقاد ،حيث تشتغل على تفكيك الخطاب التراثي والديني وتأويله وفق منطلقات وغايات مختلفة عن ما قام به السلف.

لذلك سنحاول في هذه الورقة البحثية – وبشكل مختزل قد لا يخلو من بتر وتجزئ– مقاربة منهج هذه القراءة والتأويل للخطاب الديني عنده بالتركيز على أهم المبادئ الأساسية التي توجه مسار قراءته الحفرية الابستيمولوجية وتحليله الإيديولوجي.

– **كلمات مفتاحية :**

– التراث الإسلامي ،النص القرآني ،الدرس القرآني ،المفهوم الباشلاري ،القطيعة الابستيمولوجية ،إسلاميات تطبيقية ،تعرية العقل الإسلامي ،الفكر الأصولي ،الفكر العلماني ،الفكر الإسلامي ،المعيار اللساني ، الثنائيات الضدية (خير/ شر،روحاني/ مادي،مقدس/ مدنس ،الثواب/ العقاب...) .

– الملخص باللغة الأجنبية :

Le premier axe: le discours religieux, l'histoire et lecture.

Titre d'intervention: lecture du discours religieux "Critique de la pensée religieuse le modèle Gabri."

- La lecture interprétative pratiquée par Mohamed Abed Al-Jabri est basée sur la critique et non pas la croyance, il travaille sur le démantèlement du discours et du patrimoine religieux et l'interpréter selon des principes et aboutissements différents de ceux des ancêtres.

Donc, nous allons essayer dans cet article – et d'une manière sommaire ne manquant pas d'amputation et réduction, approcher la méthodologie de cette lecture et l'interprétation du discours religieux comme il le voit, en se basant sur les principes les plus fondamentaux qui guident sa prospection épistémologique et son analyse idéologique.

- **Mots-clés:**

- Patrimoine islamique, le texte coranique, leçon coranique, notion de Bachelard, rupture épistémologique, pratiques islamiques, le décapage de l'esprit islamique, pensée fondamentaliste, la pensée laïque, la pensée islamique, le critère linguistique, antonymes (bien / mal, spirituel / physique, sacré / profane, récompense / punition ...).

تمهيد

يعتبر المفكر والفيلسوف المغربي محمد عابد الجابري من أبرز القامات التي اهتمت بنقد الخطاب الديني التقليدي وعملت على تقويضه بإعادة بمساءلته و تفكيكه وإعادة بناءه بناء جديدا بصياغة جديدة قادرة على مواكبة العصر وخاطبة العقل العربي الإسلامي .

جمع الجابري بين ثقافات عدة أتاحت له رؤية أكثر عمقا ،فأطروحاته كانت نتاج تفاعل الثقافة الفرانكفونية مع موروث الحضارة العربية الإسلامية وقد استفاد من كل تلك الخلفيات المتنوعة والمتناقضة أحيانا في بلورة مشروعه الهام لتجديد الفكر والخطاب الديني.

والذي يعتبر قراءة جديدة ومتجاوزة كل القراءات السائدة للتراث الإسلامي لأنها قائمة على أسس عملية ورؤية تاريخية واعية بجدلية العلاقة بين القراءة الموضوعية والطرح الإيديولوجي وقيم الدين الإسلامي ، متكئة على أدوات منهجية عالية الإجرائية.– يتكون مشروع الجابري من مجموعة من المؤلفات شكلت في مجملها التصور الرؤيوي لتيمة الأنموذج المقدس والتي حاول من خلالها تثوير البنية التحتية للخطاب التراثي بمساءلة كل ما يحمله من حمولات ثقافية ودينية وسلطوية...و التي يمكن جمعها في :

- نحن والتراث : قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي (1980).
- العصبية والدولة:معالم نظرية خلدونية في التاريخ العربي الإسلامي (1971).
- تكوين العقل العربي (نقد العقل العربي 1)(1982).
- بنية العقل العربي (نقد العقل العربي 2)(1986).
- العقل السياسي العربي (نقد العقل العربي 3)(1990).

- العقل الأخلاقي العربي (نقد العقل العربي 4).

–أهمية مشروع الجابري ،وقيمته الابستيمولوجية:

يلخص الناقد إسلام أنور أهمية مشروع الجابري في تفرّده وتميّزه بالنقاط التالية :

أولاً: دشن الجابري قراءة جديدة للخطاب الديني أطلق عليها القراءة »التشخيصية«، تتمايز عن القراءة الاستنساخية السلفية التي تسقط الماضي على المستقبل، وتقوم على مطابقة النص لا الاشتغال عليه ومسألته وتأوليه، وتتمايز أيضا عن القراءة الليبرالية الإستشراقية، التي يرى الجابري أنها ترد التراث العربي الإسلامي لأصوله المسيحية واليهودية وتنتج أيضاً خطابا سلفيا يفسر التراث بالتراث، ويعيد إنتاج الماضي في صورة تبدو جديدة، لكنها تكرس للفكر الأصولي وتعيد ترميمه من جديد.

ثانياً: لم يتخذ الجابري موقفا معاديا ومتعاليا على التراث كما فعل العديد من المفكريين الحداثيين، بل على العكس تحدث عن ضرورة فهم التراث بسياقاته المتنوعة اجتماعيا وثقافياً وسياسياً ودينياً، ثم عمل بعد ذلك على تفكيك هذا التراث من الداخل.

ثالثا: لم يتوقف عند القضايا النظرية الخالصة، بل كان هدفه الأساسي كما كتب مراراً هو »إعادة بناء الذات العربية«.

رابعا: لم يكتف الجابري بنقد الرؤية السلفية، إذ قام بنقد المثقفين العرب معتبرهم جزءا أصيلا من هذا الواقع »السلفي« الذي نحياه، فالمثقفون العرب لم يقدموا مشاريع تعبر عن وعي بتاريخ مجتمعاتهم وتكوينها العرقي والديني والمعرفي؛ لذلك ظل المثقفون العرب يعيشون في غرف مغلقة بعيداً عن

شعوبهم وتطلعاتها، وهو ما فتح الباب لتسيد الفكر السلفي وانتشاره والحديث عنه باعتباره الممثل للإسلام الحق الذي يعبر عن هوية الشعوب العربية وتطلعات سكانها[1].

منهجية الجابري في التعامل مع التراث العربي الإسلامي:

يؤكد محمد عابد الجابري في أطروحاته الفكرية والفلسفية المختلفة بأن" التراث العربي الإسلامي يتمظهر بشكل جلي في العقيدة، والشريعة، واللغة، والأدب، وعلم الكلام، والفلسفة والتصوف... ويمتد من القرن الأول حتى قبل عصر الانحطاط، ولكن دون تحديد دقيق لبدايته نظرا لاختلاف العلماء حول بداية تراجع المسلمين وانحطاطهم. ولكن ما يهمنا – يقول الجابري–: هو اتفاق الجميع على أن التراث هو من إنتاج فترة زمنية تقع في الماضي، وتفصلها عن الحاضر مسافة زمنية ما، تشكلت خلالها هوة حضارية فصلتنا، ومازالت تفصلنا عن الحضارة المعاصرة، الحضارة الغربية الحديثة.ومن هنا، ينظر إلى التراث على أنه شيء يقع هناك. فعلا، ما يميز التراث العربي الإسلامي في نظرنا هو أنه مجموعة عقائد ومعارف وتشريعات ورؤى، بالإضافة إلى اللغة التي تحملها وتؤطرها، تجد إطارها المرجعي التاريخي والإبستمولوجي في عصر التدوين(القرن الثاني والثالث للهجرة) وامتداداته التي توقفت آخر تموجاتها مع قيام الإمبراطورية العثمانية في القرن العاشر للهجرة(السادس عشر للميلادي). أي: مع انطلاق النهضة الأوروبية الحديثة. ويضيف جيل حميداوي أن التراث العربي الإسلامي– منظورا إليه من داخل منظومة مرجعية تتخذ الحضارة الراهنة، حضارة القرن العشرين، نقط إسناد لها–هو إنتاج فكري وقيم روحية دينية وأخلاقية وجمالية...إلخ،

تقع هناك فعلا. أي: خارج الحضارة الحديثة، ليس فقط بوصفها منجزات مادية وصناعية، بل أيضا بوصفها نظما معرفية ومنظومات فكرية وأخلاقية وجمالية...إلخ. وبما أننا نعيش هذه الحضارة – على الأقل منفعلين إن لم نكن مستلبين- ونحلم بالانخراط الواعي الفاعل فيها، فإنه لابد من أن نشعر- وهذا ما هو حاصل فعلا- أننا نزداد بعدا عن تراثنا بازدياد ارتباطنا مع هذه الحضارة، وإن المسافة بين هناك وهنا تزداد اتساعا وعمقا.وهذا الشعور يغذي في فريق منا الحنين الرومانسي إليه، وفي الوقت نفسه، ينمي في فريق آخر منا الرغبة في القطيعة معه والانفصال التام عنه[2].

زد على ذلك، يرى محمد عابد الجابري أنه "من المستحيل تحقيق نهضة عربية إسلامية معاصرة، بدون أن ننطلق من تراثنا العربي الإسلامي، أو نتنظم داخل تراث غيرنا، بل علينا أن نقرأ تراثنا بأدوات جديدة، وبعقلية معاصرة، تنطلق من تصورات بنيوية داخلية، واستقراء لحيثيات الموروث مرجعيا وتاريخيا، قصد استقراء أبعاده الأيديولوجية لمحاربة التخلف، ومواجهة طغيان الاستعماري، وتقويض النزعة المركزية الأوروبية فضحا وتعرية وتفكيكا. وكل هذا من أجل تشييد ثقافة عربية أصيلة مستقبلية، تكون أرضية ممهدة لانطلاقنا حيال المستقبل، فلابد –إذاً- من خطوة إلى الوراء من أجل خطوتين إلى الأمام، بشرط أن تكون قراءتنا موضوعية قائمة على الاستمرارية والتأويل المعقلن، وذلك في ضوء تصورات معاصرة متجددة. علاوة على ذلك، لا يمكن أن تتحقق النهضة الفكرية إلا بالتعامل مع التراث داخل الثقافة نفسها، بممارسة نقد الماضي والحاضر معا:" إنه بممارسة العقلانية النقدية في تراثنا وبالمعطيات المنهجية لعصرنا، وبهذه

الممارسة وحدها، يمكن أن نزرع في ثقافتنا الراهنة روحا نقدية جديدة وعقلانية مطابقة، وهما: الشرطان الضروريان لكل نهضة[3].

المحاور الكبرى التى ترتكز عليها رؤية الجابري في تجديد الخطاب الديني :

أولاً فيما يخص بنية الاستبداد:

يؤكد الجابري على ضرورة فضح بنية الاستبداد والخطاب السلطوي الدوغمائي التي تحكم مجتمعاتنا العربية والإسلامية منذ قرون طويلة، ويرى الجابري أن أي مشروع تنويري محكوم بالفشل ما لم يفضح بنية الاستبداد ويفككها، ويشير الجابري إلى أن الاستبداد في مجتمعاتنا العربية له أوجه عديدة، بداية من الأسرة، ومروراً بالمنظومة الدينية، ووصولا للمنظومة الفكرية والدستورية الحاكمة للدول العربية، وفي هذا السياق يشير الجابري في كتاب »نحن والتراث«إلى أن فضح بنية الاستبداد لابد أن يكون من داخل ثقافتنا نحن وليس من خارجها، حتى نتجنب مخاطر الحداثة الغربية المتمثلة في مخرجات النظام الرأسمالي، وحتى نكون قادرين على تقديم نموذج حضاري قادر على التعبير عن مجتمعاتنا ومتطلباتها وتطلعاتها، فالشعوب لا تستعيد في وعيها إلا تراثها، أو ما يتصل به، أما الجانب الإنساني العام في التراث البشري كله فهي تعيشه داخل تراثها لا خارجه.

ويؤكد الجابري، أن استعادة التراث لا تعني إحياء الماضي، ولا تعنى الإقرار بالأفكار التي روجها القدماء، بقدر ما تعني التعرف على المادة المعرفية لاستخدمها وتوظيفها بشكل مغاير يكون قادرا على مخاطبة العقل والتطور المعرفي للإنسانية.

ثانياً سؤال الهوية:

اعتبر الجابري أن سؤال الهوية واحد من أهم التحديات التي تواجه الشعوب العربية والحضارات القديمة في ظل العولمة والحداثة، ومن ثم يطرح السؤال الذى يفرض نفسه على كل شعب أو طائفة، سؤال: من أنا؟ من نحن؟، في هذا الصدد يشير الجابري إلى أن سؤال الهوية يطرح على ثلاث مستويات: الفرد، والمجتمع، والدولة »القومية«، وللإجابة عن سؤال الهوية يؤكد الجابري على ضرورة إدراك أنه ليس هناك ثقافة عالمية واحدة بل ثقافات متعددة وأن الحداثة لها ليس نسق واحد كما صوره الغرب، ولكن يمكن أن تكون لها تمثلات متنوعة تناسب كل ثقافة ومجتمع، وتحافظ هذه الرؤية على القيم الإيجابية في الحداثة المتمثلة في الحرية والتعددية وقبول الآخر والديمقراطية والمواطنة، ومن هنا يجب علينا -بحسب الجابري- أن ننتج حداثتنا، التي تعبر عنا، وعن أصالة حضاراتنا وخصوصياتها، وفيما يخص سؤال الهوية المتعلق بالدولة القومية يشير الجابري إلى أن مفهوم القومية والوحدة العربية قابل للتحقق على أسس ديمقراطية.

ثالثاً نقد العقل العربي:

يشير الجابري إلى أن بنية العقل والثقافة العربية ما تزال كما هي منذ الجاهلية حتى الآن ويرى في كتابه »**نقد العقل العربي**« أن »أهم ما يميز الثقافة العربية منذ عصر التدوين إلى اليوم هو أن الحركة داخلها لا تنسجم في إنتاج الجديد، بل في إعادة إنتاج القديم«، مؤكدا على أن »شخصيات المسرح الثقافي العربي الخالدة ما زالت تضم شخصيات من مختلف العصور والجمهور العربي المثقف لا يشعر بأية مسافة زمنية تفصل هذه الشخصيات

بعضها عن بعض أو تفصله هو عنها»، وللخروج من هذه الدائرة المغلقة التي تعيشها شعوب المنطقة العربية منذ قرون، يطرح الجابري منهج ابن رشد كنقطة انطلاق لإعادة قراءة التراث العربي، ولإنتاج مشروع عربي حداثي قادر على مواجهة تحديات العصر وإعمال العقل والخروج من نفق الرؤية السلفية الحاكمة لثقافتنا العربية[4].

-الخطوات المنهجية في القراءة والتأويل في مشروع نقد العقل العربي :

ويحدِّد الجابريّ الخطوات المنهجيّة في القراءة والتّأويل من خلال التّركيز على المقولات الابستيمولوجية والتّحليل الأيديولوجي، وذلك من خلال:

1/ ضرورة القطيعة مع الفهم التُّراثي للتُّراث : أي إرساء قطيعة ابستيمولوجيّة بالمفهوم الباشلاري "مع بنية العقل العربيّ في عصر الانحطاط، وامتداداتها إلى الفكر العربيّ الحديث" ، ولا يعني الأمر هنا الانفصال الكليّ عن التُّراث ذاته، بل "القطيعة مع نوعٍ من العلاقة مع التُّراث، القطيعة التي تحوِّلنا من "كائنات تراثيّة" إلى كائنات لها تراث، أي إلى شخصيّات يشكِّل التُّراث أحد مقوماتها، المقوّم الجامع بينها في شخصية أعمّ، هي شخصيّة الأمّة صاحبة التُّراث"[5].

2/ فصل المقروء عن القارئ ومشكلة الموضوعيّة : أي إرساء عمليّة فصل مزدوج بين الذّات والموضوع (فصل الموضوع عن الذّات، وفصل الذّات عن الموضوع)، ذلك أن "القارئ العربيّ مؤطَّرٌ بتراثه، مثقلٌ بحاضره"، ومن ثم وجب "تحرير الذّات من هيمنة النّص التُّراث"، وهو ما يتحقّق من خلال منهجٍ ثلاثيّ :

أ- المعالجة البنيويّة: أي النّظر إلى النّص التّراثي "ككلٍ تتحكّم فيه ثوابت، ويعتني بالتّحولات التي يجريها عليها حول محورٍ واحد" ، و"محورة فكر صاحب النّص حول إشكاليّة واضحة".

ب – التّحليل التّاريخي: ربط النص بـ: "مجاله التّاريخي بكلِّ أبعاده الثّقافيّة والأيديولوجيّة والسِّياسيّة والاجتماعيّة".

ج- الطَّرح الأيديولوجي: أي "الكشف عن الوظيفة الأيديولوجيّة (الاجتماعيّة السياسيّة) التي أدّاها الفكر المعني، الذي ينتمي إليه"[6].

3/ وصل القارئ والمقروء ومشكلة الاستمراريّة : أي ضرورة الحدث الإستشرافي كحقٍّ للذّات القارئة التي "تحاول أن تقرأ نفسها في الذّات المقروءة، ولكن مع الاحتفاظ لهذه الأخيرة بكيانها الذّاتي كاملاً ومستقلاً، الشّيء الذي يعني أن الذّات القارئة تبقى محتفظةً بوعيها وبكامل شخصيّتها"[7]

وبهذا فإنّ الجابريّ يستخدم منهجًا مرنًا يعمل من خلاله على توظيف جملةٍ من المفاهيم الحداثيّة تنتمي إلى مجالاتٍ معرفيّة متعدِّدة؛ فهو يقول: "إنّنا لا نتقيّد في توظيفنا لتلك المفاهيم بنفس الحُدُود والقُيُود التي تؤطِّرها في إطارها المرجعيّ الأصليّ، بل كثيرًا ما نتعامل معها بحريّةٍ واسعة.. وذلك لأنّنا لا نعتبر هذه المفاهيم قوالب نهائيّة، بل فقط أدوات للعمل يجب استعمالها في كلّ موضوعٍ بالكيفيّة التي تجعلها منتجة"[8].

إن الجابري إجمالا يقترح علينا قراءة تجعل المقروء معاصرا لنفسه ولنا في نفس الوقت، فهو معاصر لنفسه على صعيد الإشكالية والمحتوى المعرفي والمضمون الإيديولوجي. ومعاصرا لنا على صعيد الفهم والمعقولية. بهذا

الشكل يكون الجابري قد حقق قراءة معرفية متميزة على مستويين: منهجا ورؤية. فمن حيث المنهجية المعتمدة يعترف بثلاثيته البحثية الموضوعية :

المعالجة البنيوية والتحليل التاريخي والبحث الإيديولوجي، وبذلك يتم وصل القارئ بالمقروء بالبحث عن الحقيقة الموضوعية للطروحات التراثية. ومن حيث الرؤية يتبنى الباحث وحدة الإشكالية داخل الفضاء التداولي العربي الإسلامي. إذ كل فكر هو تاريخي بطبعه ونتاج لسؤال معرفي محدد، وقد ظل الجابري وفيا لهذه المقدمة المنهجية في كتابه الأخير العقل الأخلاقي العربي من خلال تعامله مع النص القرآني وفق مبدأ جعل المقروء (النص القرآني) معاصرا لنفسه وللمتلقي.

وتتحقق المعاصرة من خلال ربط النص بفضائه الإنتاجي « فالظاهرة القرآنية، وإن كانت في جوهرها تجربة روحية، نبوة ورسالة، فهي في انتمائها اللغوي والاجتماعي والثقافي ظاهرة عربية، وبالتالي يجب أن لا نتنظر منها أن تخرج تماما عن فضاء اللغة العربية، لا على مستوى الإرسال ولا على مستوى التلقي». أما جعله معاصرا لنا فيتم من خلال التناول الموضوعي لقضاياه على مستويين: مستوى التجربة الدينية التي هي ذاتية في جوهرها كما كانت عند الرسول وهذه إحالة إلى التوجه العلماني، ومستوى الفهم والمعقولية من خلال استيعاب النص ومعالجته.

ومعنى ذلك أن الجابري يضع النص في إطاره الموضوعي الإنتاجي والحاجة المعرفية الحالية له.وهنا يتميز عن القراءات الأخرى باستحضاره لمعرفة النص وتركيزه على الجانب الإيبستمي في قراءته من خلال جمعه بين أصول استدلالية تفرقت في باقي القراءات[9].

تقويم ومناقشة :

– يمكن القول أن مشروع محمد عابد الجابري هو انزياح على مستوى المنهج والرؤية ، فقد تحول نقد التراث عبره إلى مساءلات نقدية للمسائل والمقولات التراثية تهدف إلى تحليل النظام المعرفي المنتِج لتلك المقولات ،ومن مناقشة التصورات الدينية في التراث إلى مناقشة النظام الفكري العميق، أو الأنظمة الفكرية المنتجة للتصورات الدينية في التراث الإسلامي .

– والقصد بنقد النظام أو الأنظمة، دراسة المنهج، أي بنية العقل الديني وطريقة اشتغال آلياته وليس مضامين الشريعة والعقيدة بحدّ ذاتها،والتجديد في الخطاب الديني، لا يكون في ثوابت وأصول الدين والعقيدة، وإنما تطوير لغته ومضمونه والمطالبة بأخذ كل ما هو جديد لمواكبة الواقع المعاصر والتغيرات الحادثة والمستجدات المستمرة، وما يحيط بها من تحديات.

– من التعالقات الإشكالية المهمة التي يجب على الخطاب الديني الاهتمام والأخذ بها لمواجهة تحديات ومتطلبات الواقع:

أن يربط الخطاب الديني نصوص ومبادئ العقيدة الدينية بواقع الحياة المعاصرة والتحولات السوسيوثقافية، وبأسلوب وتعبير وفهم واستيعاب متجدد دائما، وأن يكون خطابا شاملا متكاملا منفتحا يعزز الحوار بين الأديان والثقافات العالمية ، مع عدم مخالفته لجوهر وثوابت وأصول الدين والعقيدة، أو نسيانه أو تجاهله لقضايا الأفراد والمجتمعات، خطاب يبعث على الإبداع والتفاؤل والأمل في نفوس الأفراد ، لا على الجمود والانغلاق، خطاب يحافظ على هوية الأفراد الدينية والثقافي .

إنه من المستحيل تحقيق نهضة عربية إسلامية معاصرة، بدون أن ننطلق من تراثنا العربي الإسلامي، أو نتنظم داخل تراث غيرنا، بل علينا أن نقرأ تراثنا بأدوات جديدة، وبعقلية معاصرة، تنطلق من تصورات بنيوية داخلية، واستقراء لحيثيات الموروث مرجعيا وتاريخيا، قصد استقراء أبعاده الأيديولوجية لمحاربة التخلف، ومواجهة طغيان الاستعماري، وتقويض النزعة المركزية الأوروبية فضحا وتعرية وتفكيكا. وكل هذا من أجل تشييد ثقافة عربية أصيلة مستقبلية، تكون أرضية ممهدة لانطلاقنا حيال المستقبل .

خلاصة :

وخلاصة القول، يتبين لنا بأن منهجية محمد عابد الجابري في تعامله مع التراث العربي الإسلامي، وبالأخص في مجال الفكر والفلسفة، منهجية بنيوية تكوينية تعتمد على خطوات ثلاث، وهي: أولا، المعالجة البنيوية الداخلية التي ترتكز على استقراء دلالات الألفاظ والمفاهيم واستكشاف المعاني والمعطيات الدلالية، وتحديد القضايا والإشكاليات. وثانيا، المعالجة التاريخية التي تعنى بتبيان الأبعاد التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي أفرزت هذه الإشكاليات الفكرية والفلسفية المطروحة من قبل صاحب النص. وثالثا، الوظيفة الإيديولوجية التي يحويها النص أو المعطى الدلالي أو الفكري الداخلي. ومن هنا، فمنهجية الجابري تقوم على مجموعة من المبادئ الرئيسية، وهي: ضرورة القطيعة مع الفهم التراثي للتراث، وفصل المقروء عن القارئ لتحقيق الموضوعية، ووصل القارئ بالمقروء لتحقيق الاستمرارية، والاعتماد على رؤية منهجية قائمة على وحدة الفكر ووحدة الإشكالية، والانطلاق من تاريخية الفكر برصد الحقل المعرفي

والمضمون الأيديولوجي، حين التعامل مع الفكر الإسلامي والفلسفة على سبيل التخصيص.

ملحق:1-نشأته

ولد محمد الجابري بمدينة سيدي لحسن في شوال 1354هـ ـبمدينة فجيج الواقعة في شرق المغرب على خط الحدود الذي أقامه الفرنسيون بين المغرب والجزائر، وتتألف فجيج من سبعة قصور – أي تجمعات سكنية – من بينها قلعة زناكة التي ولد فيها الجابري بعد أن انفصلت والدته عن والده، فنشأ نشأته الأولى عند أخواله وكان يلقى عناية فائقة من أهله سواء من جهة أبيه أو أمه. وكان جده لأمه يحرص على تلقينه بعض السور القصيرة من القرآن وبعض الأدعية، وما لبث أن ألحقه بالكتاب فتعلم القراءة والكتابة وحفظ ما يقرب من ثلث القرآن، وما إن أتم السابعة حتى انتقل لكتاب آخر، وتزوجت أمه من شيخ الكتاب فتلقى الجابري تعليمه على يد زوج والدته لفترة قصيرة، ثم ألحقه عمه بالمدرسة الفرنسية فقضى عامين بالمستوى الأول يدرس بالفرنسية.

بدت أمارات التفوق على الجابري حين برع في الحساب كما كان يجيد القراءة في كتاب التلاوة الفرنسية، وكان الانتساب للمدرسة الفرنسية ينطوي على نوع من العقوق للوطن والدين فكان الآباء يخفون أبناءهم ولا يسمحون بتسجيلهم في هذه المدرسة إلا تحت ضغط السلطات الفرنسية.

أتيحت للجابري فرصة الالتقاء بالحاج محمد فرج وهو من رجال السلفية النهضوية بالمغرب الذين جمعوا بين الإصلاح الديني والكفاح الوطني والتحديث الاجتماعي والثقافي، وكان محمد فرج إماما بمسجد زناكة الجامع،

فكان الجابري وهو لا يتجاوز العاشرة يواظب على حضور دروسه بعد صلاة العصر، وفي هذه الأثناء راودت شيخه فكرة إنشاء مدرسة وطنية حرة بفجيج وبالفعل حصل على رخصة من وزارة المعارف لإنشاء مدرسة "النهضة المحمدية" كمدرسة وطنية لا تخضع للسلطات الفرنسية ولا تطبق برامجها، بل يشرف عليها رجال الحركة الوطنية حيث جعلوا منها مدارس عصرية معربةلتصبح بديلا للتعليم الفرنسي بالمغرب، فالتحق الجابري بالمدرسة وتخرج فيها سنة 1368هـ / صبعد أن حصل على الابتدائية[1].

2- مسيرته المهنية :

حصل على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة في عام 1967 ثم دكتوراه الدولة في الفلسفة عام 1970 من كلية الآداب بالرباط .عمل كمعلم بالابتدائي (صف أول) ثم شغل كأستاذ للفلسفة والفكر العربي الإسلامي في كلية الآداب بالرباط .كان عضواً بمجلس أمناء المؤسسة العربية للديمقراطية.

3- مسيرته العلمية

نقد العقل العربي

استطاع محمد عابد الجابري عبر سلسلة نقد العقل العربي القيام بتحليل العقل العربي عبر دراسة المكونات و البنى الثقافية واللغوية التي بدأت من عصر التدوين ثم انتقل إلى دراسة العقل السياسي ثم الأخلاقي وهو مبتكر مصطلح "العقل المستقيل" وهو ذلك العقل الذي يبتعد عن النقاش في القضايا الحضارية الكبرى. وفي نهاية تلك السلسلة يصل المعلم إلى نتيجة مفادها أن العقل العربي بحاجة اليوم إلى إعادة الابتكار.

4- مآخذ منتقديه:

حمل الجابري عددا من المشاريع الفكرية، صاحب صدورَها جدل ونقاش لم يتوقف حولها فكانت" رباعية نقد العقل العربي "والتي تكونت من أربعة إصدارات رئيسية كانت باكورة أعمال الجابري، أعطى فيها للعقل دورا محوريا في إعادة قراءة العقل العربي.

تلك الإصدارات الثلاث هي : تكوين العقل العربي، وبنية العقل العربي، والعقل السياسي العربي والعقل الأخلاقي العربي، وقد أحدثت هزة في الأوساط الفكرية العربية. وقد دفعت هذه الثلاثية كاتبا سورياً مثل جورج طرابيشي إلى إصدار كتاب ناقد لها سماه" نقد نقد العقل العربي "يرد فيه على الجابري.

ينتقد الأستاذ فتحي التريكي بعض أفكار الدكتور محمد عابد الجابري أن فكرة وجود عقل عربي وآخر غربي، التي قال بها الجابري, كما خالف علي حرب الجابري في بعض القضايا الاصطلاحية أهمها "تفضيل حرب استخدام مصطلح الفكر على مصطلح العقل ,لأن العقل واحد وإن اختلفت آلياته ومناهجه وتجلياته, كما يؤثره على مصطلح التراث."

تعتبره جمعيات أمازيغية متشددة أنه "أحد المنظّرين الأساسيين لإبادة اللغة والثقافة الأمازيغية , "و"الترويج المبالغ فيه للإيديولوجيا العُروبية حتى أضحى من المدافعين المتشددين عن الأنظمة العربية العنصرية الدموية"، واعتبرت تلك الجهات تكريم اليونسكوله »خيانة للقيم الإنسانية.

6-أهم أعماله

له العديد من الكتب المنشورة:

- نحن والتراث : قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي (1980).
- العصبية والدولة : معالم نظرية خلدونية في التاريخ العربي الإسلامي (1971).
- تكوين العقل العربي (نقد العقل العربي 1)(1982).
- بنية العقل العربي (نقد العقل العربي 2)(1986).
- العقل السياسي العربي (نقد العقل العربي 3)(1990).
- العقل الأخلاقي العربي (نقد العقل العربي 4).

كما صدرت له سلسلة مواقف.

- مدخل إلى القرآن في ثلاثة مجلدات.
- مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي.
- معرفة القرآن الحكيم أو التفسير الواضح حسب أسباب النزول : في ثلاث أجزاء
- "أضواء على مشكلة التعليم بالمغرب" (1973).
- "من أجل رؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية" (1977).
- "المنهاج التجريبي وتطور الفكر العلمي" (1982).

- "إشكاليات الفكر العربي المعاصر" (1986).
- "وحدة المغرب العربي" (1987).
- "التراث والحداثة : دراسات ومناقشات" (1991).
- "الخطاب العربي المعاصر" (1982).
- "وجهة نظر: نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر" (1992).
- "المسألة الثقافية" (1994).
- "الديمقراطية وحقوق الإنسان" (1994).
- "مسألة الهوية : العروبة والإسلام والغرب" (1995).
- "المثقفون في الحضارة العربية : محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد" (1995).
- "الدين والدولة وتطبيق الشريعة" (1996).
- "المشروع النهضوي العربي : مراجعة نقدية" (1996).
- سلسلة "نقد العقل العربي"
- "ابن رشد:سيرة وفكر، دراسة ونصوص"
- "حوار المشرق والمغرب(مؤلف مشارك)"(1990).

صدر له في آذار2010 ، الكتاب الثالث من سلسلة "مواقف" والمعنون بـ "في غمار السياسة : فكراً وممارسة" عن الشبكة العربية للأبحاث والنشر في بيروت.– توفي محمد عابد الجابري يوم الاثنين 03/ 05/ 2010 عن عمر يناهز 75 سنة إثر نوبة قلبية حادة –رحمه الله –.

–الإحالات

1–إسلام أنور ، جريدة البديل ،عدد يوليو 2015.

2– ينظر جميل حمداوي ، منهجية الجابري في التعامل مع التراث العربي الإسلامي ، الألوكة ،عدد ماي 2012.

3– محمد عابد الجابري ، التراث و مشكل المنهج (المنهجية في الآداب والعلوم الإنسانية) ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1986 ،ص 83/ .84

4– ينظر جميل حمداوي ، منهجية الجابري في التعامل مع التراث العربي والإسلامي.

5– ينظر محمد عابد الجابري ، نحن والتراث(قراءات في تراثنا الفلسفي) ، المركز الثقافي العربي ،بيروت/ الدار البيضاء ،ط6 ،1993 ،ص 19، 20 ،21.

6 –ينظر المرجع السابق ،ص 25 ،26.

7–ينظر المرجع السابق ' 26 ، 27.

8 –محمد عابد الجابري ، الخطاب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، بيروت ، الدار البيضاء، ط6 ،، 1993،ص .12

9 – ينظر خالد أمزال ،مبادئ القراءة والتأويل عند الجابري و أراكون ،الحوار المتمدن،ع1953 ،جوان 2007.